الولاية: عموم الولايات

التاريخ: 10. 03. 2017

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ أُولَٰئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ ﴿22﴾

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

الْبِرُّ مَا اطْمَأَنَّ إِلَيْهِ الْقَلْبُ وَاطْمَأَنَّتْ إِلَيْهِ النَّفْسُ وَالإِثْمُ مَا حَاكَ فِى الْقَلْبِ وَتَرَدَّدَ فِى الصَّدْرِ وَإِنْ أَفْتَاكَ النَّاسُ

الحَسَنَةُ تَدْرَأُ السَّيِّئَةَ

أيُّها المُؤْمِنونَ الأعِزَّاءُ!

كانَ وابِصَةُ صَحابِياً حَديثَ العَهْدِ بِالإسْلامِ. وَكانَ يَرْغَبُ فى أَنْ يُوَجِّهَ أَسْئِلَةً لِرَسُولِنا الكَريمِ لِأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ بَعْدُ يُدْرِكُ تَمَاماً رَسائِلَ الإسْلامِ المُحَمَّلَةِ بِالرَّحْمَةِ. فَكانَتْ ماهِيَةُ البِرِّ والإثْمِ إحْدَى الأمورِ التى تَشْغُلُ بَالَهُ فَتَوَجَّهَ إلى رَسولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم، وَدَنا مِنَ الرَّسولِ الكَريمِ وَهُوَ يَقولُ: **"إِنَّهُ مِنْ أَحَبِّ النَّاسِ إِلَىَّ أَنْ أَدْنُوَ مِنْهُ"**. وَعِنْدَما رَآهُ رَسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم قالَ: **"اقْتَرِبْ يا وابِصَةُ، اقْتَرِبْ"**، واسْتَمَعَ إلَيْهِ ثُمَّ أجابَ عن سُؤالِهِ كَالتالى: **"الْبِرُّ مَا اطْمَأَنَّ إِلَيْهِ الْقَلْبُ واطْمَأَنَّتْ إِلَيْهِ النَّفْسُ وَالإِثْمُ مَا حَاكَ فِى الْقَلْبِ وَتَرَدَّدَ فِى الصَّدْرِ وَإِنْ أَفْتَاكَ النَّاسُ"**[1].

إخْوانى الأكارِمُ!

الحَسَنَةُ ثَراءٌ وَطُمَأْنِينَةٌ والسَّيِّئَةُ فَقْرٌ وظُلُماتٌ. الحَسَنَةُ تَعْنى العَمَلَ لِنَيْلِ رِضا اللهِ تَعالى، وَالسَّيِّئَةُ تَعْنى السَّيْرَ نَحْوَ عَذابِهِ خُطْوَةً خُطْوَةً. والحَسَنَةُ هى المَحاسِنُ التى تُناسِبُ العَقْلَ السَّليمَ والقَلْبَ السَّليمَ والطَّبْعَ السَّليمَ، والمَحاسِنُ هِىَ التى تُناسِبُ الإنْسانَ الَّذى يَحْظَى بِأَنْ يوصَفَ بِأَشْرَفِ مَخْلوقاتِ الأرْضِ. أمّا السَّيِّئَةُ فَهِىَ القَبائِحُ التى تُذِلُّ الإنْسانَ وتَحُطُّ مِنْ قيمَتِهِ واعْتِبارِهِ عِنْدَ اللهِ وعِنْدَ النّاسِ. والحَسَنَةُ خَصْلَةٌ نَبيلَةٌ أوْدَعَها اللهُ فى فِطْرَةِ الإنْسانِ، وَالسَّيِّئَةُ بُقْعَةٌ سَوداءُ يَتَلَطَّخُ بِها قَلْبُ الإنْسانِ. الحَسَنَةُ هىَ وَفاءٌ للهِ تَعالى مالِكِ الفِطْرَةِ السَّليمَةِ، أمّا السَّيِّئَةُ فَهِىَ فُقْدانُ هذا الوَفاءِ. والحَسَنَةُ هىَ القُوَّةُ الكُبْرى القادِرَةُ على مَحْوِ السَّيِّئَةِ مِنْ وَجْهِ الأرْضِ، أمّا السَّيِّئَةُ فَمَصيرُها الخُسْرانُ أمامَ الحَسَنَةِ.

إخْوانى!

قَبْلَ أنْ يُخْبِرَنا اللهُ تَعالى عَنِ البِرِّ يُخْبِرُنا عَنْ ما لا يَكونُ بِرّاً. فَيَقولُ رَبُّنا جَلَّ وعَلا فى كِتابِهِ العَزيزِ: **"لَيْسَ الْبِرَّ اَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ"**. وهَذِهِ تَعْنى أنَّ اللهَ تَعالى لا يَقْبَلُ العِباداتِ الشَّكْلِيَّةَ والتَّدَيُّنَ الاسْتِعْراضِىَّ والتَّظاهُرِىَّ مِنْ جُمْلَةِ البِرِّ والإحْسانِ. ثُمَّ يُخْبِرُنا اللهُ تعالى فى كِتابِهِ الكَريمِ عَنْ البِرِّ الحَقيقِيِّ فَيَقولُ: **"مَنْ اٰمَنَ بِاللّٰهِ وَالْيَوْمِ الْاٰخِرِ وَالْمَلٰٓئِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيّٖنَ"**. وهَذِهِ تَعْنى أَنَّ

البِرَّ هو الإيمانُ بِاللهِ الذى يُنْجِينا مِنَ الوُقوعِ فى السَّيِّئاتِ، والإيمانُ بِاليَوْمِ الآخَرِ ومَلائِكَتِهِ وكِتابِهِ وأَنْبِيَائِهِ.

والبِرُّ الحَقيقِيُّ هو أنْ نُنْفِقَ ما نُحِبُّهُ مِنَ الأمْوالِ والثَّرَواتِ على الفُقَراءِ والمَساكينِ واليَتامى كَما يَقولُ اللهُ سُبْحانَه: "**وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ**". البِرُّ الحَقيقِيُّ هو أنْ نُحافِظَ على الصَّلَواتِ ونَدْفَعَ الزَّكاةَ حُبّاً وطَوْعاً "**وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ**"، وأَنْ نوفى بِعُهودِنا فَيَقولُ اللهُ سُبْحانَه: "**وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ** "[2]. البِرُّ الحَقيقِيُّ يَعْنى الصَّبْرَ فى السَّرّاءِ والضَّرّاءِ ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللهِ تَعالى "**وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ**".

البِرُّ الحَقيقِيُّ يَعْنى دَفْعَ السَّيِّئَةِ بِالحَسَنَةِ كَما يَقولُ اللهُ: "**وَيَدْرَؤُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ**"[3]. فَالمُؤْمِنُ هو الذى يَنْذِرُ حَياتَهُ مِنْ أَجْلِ البِرِّ والإحْسانِ ويُضْفى عَلَيْها مَعْنَىً بِالبِرِّ والحَسَنَةِ. والمُسْلِمُ هو الشَّخْصُ الذى يَقِفُ شامِخاً فى وَجْهِ السَّيِّئَاتِ والمُنْكَرَاتِ بَيَدِهِ ولِسانِهِ وقَلْبِهِ ووُجودِهِ كُلِّهِ.

إخْوانى الأعِزّاءُ!

يُؤْسِفُنى أنْ أقولَ إنَّ النّاسَ لا يَنْشَغِلونَ اليَوْمَ بِالحَسَنَةِ بِمِقْدارِ انْشِغالِهِمْ بِالسَّيِّئَةِ. فَتُحيطُ السَّيِّئاتُ بِعالَمِنا مَعَ كُلِّ يَوْمٍ يَمْضى. ويَفْقُدُ الإنسانُ الوِجْدانَ والعَدَالَةَ والحَقَّ والرَّحْمَةَ بِسُرْعَةٍ فى سَبيلِ أهْوائِهِ وأطْماعِهِ. وَيَتَحَوَّلُ إلى كائِنٍ لا يَفْعَلُ البِرَّ إلّا لِنَفْسِهِ. وَيَنْسَى أَنَّ البِرَّ الحَقيقِيَّ هو البِرُّ الذى نَفْعَلُهُ مِنْ أجْلِ الآخَرينَ.

إخوانى!

تَقَعُ على عاتِقِنا نَحْنُ المؤمِنونَ مَسْؤولِياتٌ هامَّةٌ جِداً فى هَذا العالَمِ حَتّى يَسودَ البِرُّ والإحْسانُ وتَنْجَلِيَ الشُّرورُ والسَّيِّئاتُ. فَيَنْبَغى عَلَيْنا أنْ نُحْيِيَ إيمانَنا بِأَنَّ هَذِهِ الدُّنْيا لا تَخْلو مِنَ النّاسِ الصّالِحينَ الطَّيِّبينَ مَهْما ساءَت الظُّروفُ والشُّروطُ. عَلَيْنا أنْ لا نَسْمَحَ أبَداً بِأَنْ يَتَغَلَّبَ الشَّرُّ على الخَيْرِ. وعَلَيْنا أنْ لا نَنْسَى أنَّ السَّعادَةَ فى الدُّنْيا والآخِرَةِ تَمُرُّ مِنْ خِدْمَةِ البِرِّ والإحْسانِ ومُجابَهَةِ الشَّرِّ والسُّوءِ.

إخوانى!

فى هَذِهِ السّاعَةِ المُسْتَجابَةِ المُبارَكَةِ نَفْتَحُ أَيْدِيَنا ونَتَضَرَّعُ إلى اللهِ تَعالى: اللَّهُمَّ اجْعَلْنا نُزيلُ جَميعَ الشُّرورِ والآثامِ التى تُحيطُ بِجُغْرافِيَّتِنا والإنْسانِيَّةِ! اللَّهُمَّ أعِنّا على إعْمارِ الأرْضِ حتى يَسودَ فيها البِرُّ والإحْسانُ والخَيْرُ! اللَّهُمَّ أكْرِمَنا حَتّى نَتْرُكَ لِلأجْيالِ القادِمَةِ عالَماً أَفْضَلَ وأَجْمَلَ!

---

[1] ابن حنبل، 4، 227. الدارمي، البيوع، 2.
[2] البقرة، 2/ 177.
[3] هود، 11/ 114. الرعد، 13/ 22.